واقع اختطاف الأطفال في المجتمع الجزائري : قراءة سوسيولوجية في الأسباب والنتائج وآليات الوقاية-

د.بوحنيكة نذير جامعة الطارف
د. بلبكاي جمال م.ع.للأساتذة سكيكدة

ملخص:

أخذت ظاهرة اختطاف الأطفال في الجزائر منحى خطيرا في السنوات الأخيرة، مما جعلها تؤرق مختلف المؤسسات الرسمية وغير الرسمية، وتعيش حالة من اللامعيارية التي تهدد صمام وأمن المجتمع الجزائري.

وعليه في ظل تفشي هذه الظاهرة وانتشارها بالشكل الملفت للانتباه والمقلق، وجب علينا كمختصين في الحقل السوسيولوجي محاولة إعطاء قراءة سوسيولوجية لواقع اختطاف الأطفال في المجتمع الجزائري، وذلك من خلال تسليط الضوء على العوامل الحقيقية الكامنة وراء انتشار هذه الظاهرة، والآثار المترتبة عليها، واقتراح آليات وحلول موضوعية للحد من انتشارها.

الكلمات المفتاحية: اختطاف، الأطفال، المجتمع جزائري.

Résumé:

L’enlèvement d’enfants en Algérie a pris une tournure grave ces dernières années, ce qui en fait une source de préoccupation pour les diverses institutions officielles et non officielles et une situation d’indifférence menaçant la sécurité de la société algérienne.

Par conséquent, à la lumière de la propagation de ce phénomène d’une maniére attractive et ennuyeuse , nous, spécialistes en sociologie, essayons de donner une lecture sociologique de la réalité des enlèvements d'enfants dans la société algérienne, en jetant la lumière sur les facteurs réels de la propagation de ce phénomène et de ses implications,et en proposant des Mécanismes et des solutions pour réduire leur propagation.

Mots-clés: enlèvement, enfants, société algérienne.

تمهيد:

تعد مرحلة الطفولة من أهم المراحل العمرية التي يمر بها الفرد في حياته، حيث يكتسب فيها أنماط السلوك، ومختلف القيم والعادات والتقاليد، والمعايير الاجتماعية، وبقدر ما يجد الطفل في هذه المرحلة العمرية من رعاية واهتمام من قبل أعضاء الجماعة المحيطين به بقدر ما يكون ذلك له أثره الواضح والبليغ في تكوينه النفسي والاجتماعين وأي خلل وظيفي يطرأ على هذا التكوين تلحقه آثار سلبية تحدد المعالم الأساسية لحياة الطفل في مرحلة المراهقة والرشد، وتظهر على شكل سلوكيات انحرافية وشخصية غير سوية.

ونظرا لأهمية هذه المرحلة العمرية – الطفولة – نجد أن مختلف المؤسسات الرسمية وغير الرسمية، وكافة الدساتير والمواثيق الوطنية والدولية تحرص على حماية الطفل من الأخطار المادية والمعنوية التي تهدد أمن حياته، واستقراره النفسي والاجتماعي.

وبالرغم ما يحظى به الطفل من رعاية واهتمام وما تكفله له الدساتير والمواثيق الوطنية والدولية، إلا أنه مازال في مختلف الدول النامية منها والمتقدمة يتعرض لشتى أشكال الخطر المادي والمعنوي باعتباره الحلقة الضعيفة في المجتمع، ومن بين الأخطار التي يتعرض لها الطفل وأضحت تطفوا على سطح المجتمع

الجزائري خلال السنوات الأخيرة وبشكل ملفت للانتباه جريمة اختطاف الأطفال مما جعلها محل اهتمام الباحثين والدارسين الأكاديميين في مجالات علمية مختلفة، ومحل قلق لدى الدولة.

وعليه انطلاقا مما سبق سنحاول في هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على واقع اختطاف الأطفال في المجتمع الجزائري، وذلك من خلال التطرق إلى تحديد مفاهيم الدراسة، ثم توضيح خصائص وأغراض جريمة اختطاف الأطفال، وبعدها إعطاء قراءة إحصائية لتطور حجم الظاهرة في الجزائر، ثم محاولة تحديد بعض العوامل المؤدية إلى تفشي الظاهرة، والآثار المترتبة عنها، وفي الأخير محاولة رسم آليات للحد من انتشارها.

أولا: التأصيل المفاهيمي لمصطلحات الدراسة

1- مفهوم الاختطاف:

يعرف الاختطاف بأنه " هو الأخذ السريع باستخدام كافة أشكال القوة أو بطريق التحايل أو الاستدراج، لما يمكن أن يكون محلا لهذه الجريمة، وإبعاد المجني عليه من مكانه أو تغيير خط سيره، وذلك بإتمام السيطرة عليه، دون الفصل بين الفعل وبين الجرائم اللاحقة له، بغض النظر عن كافة الدوافع" [1].

" ويمكن تعريف اختطاف الأطفال من خلال قراءة نصوص المواد 326-329 من قانون العقوبات الجزائري بأنه" أخذ قاصر لم يبلغ سن 18 سنة بعنف أو تهديد أو تحايل أو دون ذلك، من الأماكن التي وضعوه فيها من لهم حق حضانته أو رعايته أو الإشراف عليه وحرمانه من محيطه الاجتماعي الطبيعي وعدم حفظ حقه في التمتع بحريته وحقوقه المكفولة قانونا" [2].

2- مفهوم الطفل:

يختلف العلماء في تحديد مفهوم الطفل كل حسب مجال تخصصه العلمي، وعليه سنحاول الوقوف على هذا المفهوم من خلال التعريفات الآتية:

-الشريعة الإسلامية: يستخلص مما جاء بكتب الفقه أن مرحلة الطفولة هي تلك المرحلة التي تبدأ بتكوين الجنين في بطن أمه وتنتهي بالبلوغ، والبلوغ قد يكون بالسن أو بالعلامة، وعلامات البلوغ عند الذكور هي الاحتلام و الإحبال، وعند الإناث هي الحيض والحبل، فإذا لم يوجد شيء من هذه العلامات الطبيعية كان البلوغ بالسن الذي اختلف الفقهاء في تقديره" [3].

- علم الاجتماع: حددت الطفولة في "قاموس علم الاجتماع" بأنها فترة الحياة التي تبدأ منذ الميلاد حتى الرشد، وهي تختلف من ثقافة غلى أخرى، فقد تنتهي الطفولة عند البلوغ، أو عند الزواج، أو يصطلح على سن محددة لها" [4].

- علم النفس: الطفل عند علماء النفس "إذ يعد علماء النفس إن الطفولة تبدأ من لحظة وجود الجنين في بطن أمه، وهذه المرحلة تعتبر من أهم وأخطر مراحل عمره على الإطلاق، وعلى هذا تطور الطفولة يبدأ بالمرحلة الجنينية وينتهي بالبلوغ الجنسي" [5].

- القانون: الطفل من الناحية القانونية حسب ما جاء في الاتفاقية الدولية لحقوق الطفل في تعريفها له، فجاء في المادة الأولى منها:"الطفل كل إنسان لم يتجاوز الثامنة عشرة، ما لم يبلغ سن الرشد قبل ذلك بموجب القانون المنطبق عليه".[6]

من خلال ما سبق ذكره يمكن تحديد مفهوم الطفل بأنه ذلك الفرد الذي لم يكتمل نموه الجسمي والعقلي والجنسي، ويكون غير ناضج اجتماعيا وغير قادر على تكوين أسرة، وبالتالي لم يبلغ سن الرشد القانوني المقدر بـ 18 سنة، أي يكون بحاجة إلى الرعاية الصحية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية من طرف أسرته وكل المحيطين به.

ثانيا:خصائص جريمة الاختطاف

تتميز جريمة الاختطاف بعدة خصائص من بينها:

1- السرعة في التنفيذ: "فالموضوع محل الاختطاف سوا كان فردا أو جماعة، أو شيئا أو أشياء غير ذلك، فإنما يتم التنفيذ فيها بسرعة وفي أقصر وقت ممكن بأنها عملية مستهجنة اجتماعيا، ومنه فالفاعل أو الفاعلين يلجئون إلى هذا الأسلوب من السرعة في التنفيذ حتى لا ينكشف أمرهم من جهة، وحتى لا يلاقوا الاستهجان الاجتماعي من جهة أخرى".[7]

2- حسن التدبير العقلي للعملية: " إن الفاعل أو الفاعلون يقومون بجملة من الإجراءات العقلية المحكمة إذ يدرسون جميع الطرق التي تؤدي في نهاية المطاف إلى الانقضاض على الضحية أو الضحايا، وإتمام عملية الاختطاف حسب الظروف المدروسة مسبقا من قبل الفاعلين، وقد تستمر مرحلة التدبير العقلي ساعات أو أيام أو حتى شهورا وسنوات وذلك حسب ما تتطلبه العملية والأهداف منها.

3- الاختطاف نوعي وكمي: فغالبا ما يحدد الفاعل أو الفاعلون أغراضهم بالنوعية أو الكمية حسب نوع الضحية أو الضحايا أو عددهم" [8].

4- القصدية: "فلا يمكن أن نجد جريمة اختطاف سائدة في مجتمع ما من المجتمعات وهي بريئة الأغراض، ونعني بالأغراض الأهداف والنوايا التي يسعى لتحقيقها الخاطفون من خلال هذا الفعل، وهي تكون أهداف ونوايا محددة بدقة مسبقا".[9]

ثالثا:أغراض جريمة اختطاف الأطفال

تعددت أغراض جريمة اختطاف الأطفال بتعدد خصائصها وظروفها، ويمكن إجمال هذه الأغراض على سبيل المثال لا الحصر في النقاط التالية:

1- أغراض مادية: " وهو أن يلجأ الجاني إلى الاختطاف للحصول على الأموال من خلال طلب الفدية من أهل الطفل المخطوف، وهذا النوع من الاختطاف يكون منتشرا في المجتمعات التي تسود فيها الفقر والبطالة".[10]

2- الانتقام: "أغلب حالات اختطاف الأطفال كانت في محيط الضحية من الأقارب والجيران، ومن الذين لهم صلة معينة بالضحية وأقاربه، لأن الطفل على فطرته لا يأنس إلا لمن يعرفه، ويفر ممن يجهل عينه، وربما بكى بمجرد رؤية الأغراب، ويستغل المجرمون محيط الطفل هذه النقطة للتسلل إلى قلب الطفل وأخذه بعيدا عن أسرته، وفي كثير من حالات الاختطاف هذه يكون الدافع الرئيس والسبب المباشر هو الانتقام من أسرة الطفل"[11] ، إذا يتضح هنا أن حالات الاختطاف تكون بسبب الخلافات سواء تكون أسرية أو خلافات مادية وبالتالي يكون الطفل هو ضحية هذه المشاكل.

3- أغراض جنسية: معظم حالات الاختطاف التي تعرضوا لها الأطفال كانت بغرض الاعتداء الجنسي، إذ يلجأ المختطف إلى هذه الفئة لممارسة شذوذه الجنسي باعتبارهم الحلقة المستضعفة ليست لديهم القوية البدنية للدفاع عن أنفسهم، بالإضافة إلى قلة الوعي وسهولة استدراجهم ، وعدم إدراك خطورة وجسامة الفعل المرتكب اتجاههم وما يتركه من أضرار صحية ونفسية واجتماعية تلاحقهم مدى حياتهم.

4- بغرض سرقة الأعضاء البشرية والمتاجرة بها: تعتبر"المكاسب الباهظة التي تحققها تجارة الأعضاء والتي تقدر بمليارات الدولارات دفعت بعض العصابات الدولية إلى تنظيم عمليات اختطاف الأطفال في البلاد الفقيرة ومن مناطق النزاع حول لعالم لقتلهم وبيع أعضائهم.ويتم استخدام بعض هذه الأعضاء في عمليات نقل الأعضاء المختلفة.أما باقي الأعضاء والأجزاء الأخرى فيتم بيعها إلى شركات الأدوية التي تستخدمها في تصنيع بعض مستحضرات التجميل الدوائية مرتفعة الثمن ".[12]

5- بغرض السحر والشعوذة: يعد اختطاف الأطفال بغرض السحر والشعوذة من بين الأغراض الأساسية وهذا ما أكده "العميد الأول للشرطة أعمر لعروم رئيس خلية الاتصال والصحافة بالمديرية العامة للأمن الوطني، أن التحقيقات الميدانية والتحاليل الجنائية أثبتت أن الدوافع الرئيسية في جميع القضايا التي تم معالجتها في جرائم اختطاف الأطفال، تعود إلى السحر والشعوذة والاستسلام لأفكار خرافية بالية لا صلة لها بديننا الحنيف ولا بأخلاقنا وتقاليدنا الاجتماعية".[13]

رابعا: تطور حجم جريمة اختطاف الأطفال في الجزائر

" تعد إحصائيات الجريمة ركيزة أساسية في محاولة فهم ظاهرة الجريمة، والتعرف على مختلف جوانبها ويمكن التعرف على مدى انتشار الجريمة وتوزعها بين المناطق المختلفة في المجتمع بدراسة إحصاءاتها التي تسمى إحصاءات الجريمة، أو الإحصاءات الجنائية، وبينما نجد الإجرام ظاهرة عادية توجد في كل المجتمعات الإنسانية على السواء، فإن المجتمعات تختلف فيما بينها وتتمايز تبعا لعدد الأفراد الذين يسلكون مسلكا منحرفا ونسبتهم لعدد السكان بصفة عامة، وهو ما يعرف عند علماء الجريمة " بمعدل الإجرام" (Crime rate)".[14]

يتضح من خلال مختلف الإحصائيات أن جريمة اختطاف الأطفال في الجزائر في تزايد مستقر، وهذا ما أكده "تقرير منظمة الأمم المتحدة للطفولة "اليونيسيف"، تم رصد 1100 حالة خطف للأطفال في الجزائر من العام 2001 إلى جانفي 2016، وبحسب إحصاءات صادرة عن مكتب حماية الطفولة بالمديرية العامة للأمن الجزائري فإنه تم تسجيل 256 حالة اختطاف للأطفال في العام 2013، و1818 حالة اعتداء جنسي تعرض لها الأطفال من بين 6321 حالة اعتداء في مختلف الأنواع، خلال العام نفسه، فيما تم تسجيل 195 حالة اختطاف للأطفال في العام 2014، بينهم 143 من الإناث و52 من الذكور.

ووفقا لإحصائيات عن مكتب حماية الطفولة بالمديرية العامة للأمن الجزائري، فإن الظاهرة عرفت ارتفاعا عن السنتين الماضيتين خلال العام 2015، إذ تم رصد 287 حالة خطف، من بينهم 198 فتاة و89 فتى، تتراوح أعمارهم ما بين 4 و16 سنة، بمعدل 23 حالة خطف كل شهر، بينما تقدر أعداد ضحايا القتل العمدي بـ 29 حالة منهم 17 ذكرا و12 أنثى.

وأشارت الإحصائية إلى تسجيل 3412 تدخلا لمصالح الشرطة القضائية لإنقاذ أطفال كانوا في حالة خطر في حصيلة هي الأكثر منذ 3 سنوات بحسب مصدر أمني".[15]

يتضح من خلال هذه الإحصائيات أن ظاهرة اختطاف الأطفال في الجزائر في تزايد مستمر، غير أن تفشيها في السنوات الأخيرة بالشكل الملفت للانتباه جعلها تدق ناقوس الخطر وتعبر عن الوضع المقلق والغير مألوف خاصة عندما أصبحت حالات الاختطاف تتبعها بالدرجة الأولى جريمتي الاغتصاب والقتل مما جعل المشرع الجزائري يعيد النظر في القوانين ضد الجرائم المرتكبة تجاه الطفولة وتنفيذ أقصى العقوبات.

خامسا: عوامل اختطاف الأطفال في المجتمع الجزائري

نظرا للتغير الاجتماعي الذي شهده المجتمع الجزائري خلال السنوات الأخيرة عجل بظهور عدة مشكلات اجتماعية جعلها تطفو على السطح من بينها جريمة اختطاف الأطفال التي تعتبر مركبة باعتبار أنه لا يمكن تفسيرها وإرجاعها إلى عامل واحد فقط بل هناك عدة عوامل تتداخل فيما بينها إلا أنه يبقى هناك عامل يطغى على آخر، وذلك حسب الموقف والبيئة وحالة الجاني والضحية ، ويمكن تحديد هذه العوامل في النقاط التالية:

1- العامل الديني:

يعتبر التزام الفرد بالمبادئ الدينية والأخلاقية من بين العوامل الأساسية التي تمنعه من الوقوع في المحظور، أو ارتكاب مختلف السلوكيات الانحرافية حتى أنه قيل عن الدين هو "أفيون الشعوب" نظرا لما يتركه من إدمان روحاني في حالة الالتزام بمبادئه، إلا أنه من جهة أخرى غياب الوازع الديني وابتعاد الفرد عن التربية الإسلامية بكل مضامينها وفروعها ومناهجها سببا في الوقوع في مختلف المشكلات الاجتماعية من بينها اختطاف الأطفال، وما نلاحظه أن الدين الإسلامي أفرد مكانة خاصة في معاملة الأطفال باعتبارهم زينة الحياة الدنيا، والتعامل معهم باللطف لا بالعنف، ويتجلى ذلك في قول الرسول صلى الله عليه وسلم "علموا ولا تعنفوا فإن المعلم خير من المعنف"، كما أنه حث على رحمتهم والشفقة عليهم حيث يقول صلى الله عليه وسلم في موضع آخر" من لا يرحم صغيرنا، ويعرف حق كبيرنا فليس منا".(رواه أبو داود)

2- العامل الاجتماعي:

- الإدمان على الكحول والمخدرات:

أثبتت كل الدراسات أن هناك ارتباطا وثيقا بين الإدمان على الكحول والمخدرات وارتكاب مختلف السلوكيات الانحرافية والإجرامية فالعالم الأمريكي " ساندوز" (Sandoz) رأى من خلال دراسة أجريت على 60 مدمنا على مادة الموروفين أن 42 منهم لم يرتكبوا أي جريمة قبل إدمانهم بينما بلغت الجرائم كل واحد منهم بمعدل 8 بعد تعاطي المخدرات"[16] ، حيث أن الشباب الذين يتعاطون الخمر والمخدرات والمهلوسات يصبحون في حالة اللاوعي التي تؤهلهم على أن يمارسوا أي سلوك إجرامي ابتداء من العنف الذي يصل إلى اغتصاب الأطفال وحتى قتلهم.

- وسائل الإعلام والتكنولوجيا وشبكات التواصل الاجتماعي:

" يعد الإعلام أحد أكثر الأسلحة الناعمة والمصادر الأغزر إنتاجا وتصديرا وتمويلا للعنف، فمن المسلسلات إلى الأفلام إلى الرسوم المتحركة وحتى نشرات الأخبار، حيث أشارت إحدى الدراسات إلى أن أكثر من 79% مما يعرضه التلفزيون يتضمن مشاهد عنيفة، أو تحث على العنف، وهذا من شأنه أن ينمي السلوك العنيف لدى الأشخاص الذين تعودوا على رؤية الدم وشاهد القتل والعراك والأسلحة الفتاكة وجرائم القتل بكل برودة".(17)

ومن هنا يتضح أن وسائل الإعلام المختلفة خاصة المرئية منها تقوم بتوجيه سلوك الصغار والشباب بل حتى الكبار، فغالبا ما يقوم الأطفال والمراهقين والشباب بتقليد ما يشاهدونه في وسائل الإعلام في تصرفاتهم وسلوكاتهم وأغلب مواقفهم في إطار الحياة الاجتماعية على حد تعبير "ابن خلون" "إن المغلوب مولع أبدا بتقليد الغالب" بما في ذلك اختطاف الأطفال بطريقة الأفلام الهوليودية التي تستهوي بعض المنحرفين التي تصور لهم أن الاختطاف والاغتصاب وحتى القتل على أنها أفعال طبيعية.

كما أنه لا يمكننا أن نتغاضى على ما تقوم به اليوم شبكات التواصل الاجتماعي وفي مقدمتها "الفايسبوك" أو ما يعرف "بالعالم الأزرق" من بين العوامل المؤدية إلى الاختطاف واستدراج الضحية وإبعادهم عن وسطهم الأسري في ظل غياب الرقابة الوالدية، وهذا ما جعل المختصين يفردون لها حيزا من الدراسة والتقصي وبرهنوا على انتشار الظاهرة من خلال قضايا الجرائم الالكترونية وجرائم الاختطاف التي تترصد أقسام الشرطة وأروقة المحاكم.

- المشاكل والتصدعات الأسرية:

تعتبر الأسرة الركيزة الأساسية في تربية الأبناء التربية السوية خاصة إذا تكامل دور الوالدين في هذه الوظيفة من توفير جميع المتطلبات المادية والمعنوية، لكن إذا تخلا عن وظيفتهما التربوية بسبب التفكك والتصدع الأسري، فإن ذلك يؤثر على الأبناء مما يؤدي إلى البحث عن البديل لنسيان مشاكلهم العائلية الغير متناهية خاصة الأطفال منهم باعتبارهم الحلقة المستضعفة فيكونوا لقمة سهلة تعرضهم للاستدراج والتحايل ممن هم أكبر منهم سنا، وعليه يصبح التشرد والشارع ملجئهم الوحيد الذي يتعلمون فيه مختلف الآفات الاجتماعية الخطيرة، كالسرقة، تعاطي المخدرات والمتاجرة فيها، العلاقات الجنسية غير الشرعية...الخ.

- تأخر سن الزواج:

من العوائق التي تعيق الشباب الجزائري عند محاولته تكوين أسرة مشكلة البطالة والسكن وغلاء المهور، وأمام هذه الحواجز المادية لا يجد الشباب مخرج سوى الانتظار لسنوات طويلة حتى قد ينتهي به المطاف بلا زواج، وهناك العديد من الدراسات أثبتت العلاقة القوية بين تأخر سن الزواج والانحراف الجنسي في ظل المغريات وسهولة ممارسة الرذيلة، لدرجة أن بعض الشباب يلجئون إلى اختطاف الأطفال واغتصابهم وحتى قتلهم.

- غياب ثقافة التربية الجنسية في الأسرة الجزائرية:

قد يتساءل البعض منا ما علاقة غياب ثقافة التربية الجنسية في الأسرة الجزائرية باختطاف الأطفال؟ أثبتت العديد من الحالات أن الغرض من الاختطاف هو الاعتداء الجنسي، وهو ما يمكن إسقاطه بالموازاة على التربية الجنسية داخل الأسرة، إذ يعد الحديث عن العلاقات الجنسية والحميمية داخل الأسرة الجزائرية من الطابوهات والممنوعات المرفوضة اجتماعيا حتى وإن كانت في إطار مضبوط ولا يخل بالقيم الأخلاقية مما أدى إلى غياب تام لثقافة جنسية لدى الأبناء، وكل سؤال متعلق بالجنس يبحث الطفل له عن إجابة يقابل بالعقاب والتعنيف، واعتبار كل سؤال في هذا المجال خادش للحياء وعيب ومحرم، ومنه ينشأ الطفل داخل وسط يجهل فيه أبسط الأمور الجنسية، مما يجعله فريسة سهلة يستدرج ممن هم أكبر منه سنا ويقومون بالاعتداء عليه جنسيا، وتصل إلى درجة القتل لطمس معالم جريمة الاغتصاب ومحاولة الهروب من العقوبة.

- التستر عن حالات الاختطاف من قبل الأهل:

إن التستر من قبل الأهل عن حالات اختطاف الأطفال خاصة الذين تعرضوا للاعتداء الجنسي، إما بسبب الحرج من الاعتراف بما وقع أو الخوف من الفضيحة أو أن تؤدي المشكلة إلى التفكك الأسري خاصة إذا كان الجاني من أحد الأقارب حيث تؤكد العديد من الدراسات أن الجاني عادة يكون " شخص يكبر الضحية بخمس سنوات على الأقل وله علاقة ثقة وقرب للضحية، وقد دلت الدراسات أن أكثر من 75% من المعتدين هم ممن لهم علاقة قرب مثل: الأب، الأخ، العم، الخال، الجد...الخ أو معروفين للضحية"[18].

- غياب الاتصال بين الوالدين والأبناء في الأسرة:

وبينهم روابط التواصل وحسن الإصغاء، فهو لا يخبرهم ماذا يحصل معه، ومن يعتدي عليه خاصة إذا استعمل معه التهديد من قبل المعتدي خوفا من ردة فعل الأهل وعدم تقبلهم للأمر من جهة، وخوفه من انتقام المعتدي من جهة أخرى.

- عدم جدية العمل الحقوقي:

يعتبر عدم جدية العمل الحقوقي من بين العوامل المؤدية إلى انتشار ظاهرة اختطاف الأطفال في المجتمع الجزائري، حيث أن بعض الهيئات والجمعيات الاجتماعية والحقوقية ومنظمات المجتمع المدني تركز على الجانب الإعلامي تعمد إلى تضخيم ما تقوم به من فعاليات في مجال حماية حقوق الطفل دون التركيز على مضمون العمل نفسه والحد من انتشاره، بالإضافة إلى عدم تطبيق القوانين بصرامة ضد كل من تسول له نفسه اختطاف الأطفال والاعتداء عليهم بالرغم من الجهود المبذولة من طرف الدولة الجزائرية وسنها للقوانين والتشريعات لحماية الأطفال من مختلف الأخطار التي تهدد حياتهم واستقرارهم النفسي والاجتماعي والأمني.

3- العامل النفسي:

يعود اختطاف الأطفال حسب التفسير النفسي إلى وجود خلل في التكوين النفسي لدى الجاني الذي يكون عادة يعاني من ضغوطات واضطرابات وانفعالات وأمراض نفسية، وقد ترجع أيضا إلى خبرات الإساءة في مرحلة الطفولة إذ الأطفال الذين تم استغلالهم وإيذاءهم في هذه المرحلة يترجمون هذه السلوكيات لاحقا وهو ما يعرف بـ "دورة العنف".

كما أن النفسية اللاسوية لمختطفي الأطفال كالميول الجنسي نحو الأطفال تعد من السلوكيات الانحرافية الجنسية في ظل الصراع القائم بين الغرائز الفطرية وبين القيم والمعايير الاجتماعية والأخلاقية التي تضبط العلاقات الجنسية وفق أطر شرعية مبنية على الزواج الشرعي، إلا أن الجاني الذي يعاني من اضطرابات نفسية يقوم باختطاف الأطفال لإشباع غرائزه الجنسية ويسمى الشخص الذي له ميول جنسي تجاه الأطفال ب Pedophile .

4- العامل الاقتصادي:

بالرغم من الجهود المبذولة من طرف الدولة الجزائرية لتحسين القدرة الشرائية للمواطن، ورفع الأجور، وامتصاص نسبة البطالة بإتباع عدة برامج تنموية وتخصيص أغلفة مالية ضخمة لفائدة الشباب، إلا أن الوضع الاقتصادي بقي على حاله وشبح البطالة والفقر مازال يلاحق فئة الشباب، وكان له تأثير سلبي في ظهور عدة مشكلات اجتماعية أبرزها اختطاف الأطفال إذ توجد علاقة قوية بين العوامل الاقتصادية واختطاف الأطفال، فبسبب الفقر والبطالة وارتفاع تكاليف المعيشة تجعل الشباب يفتقدون للقيم والمعايير الاجتماعية ويولد لديهم الشعور بالإحباط وعدم التوافق النفسي نتيجة العوز والاحتياج المادي يحدو بهم نحو السلوك الانحرافي بما فيه خطف الأطفال وطلب الفدية أو الخطف من أجل الاعتداء الجنسي لعدم قدرتهم على الزواج في ظل الوضع الاقتصادي المزري الذي يعانون منه.

سادسا: الآثار المترتبة عن جريمة اختطاف الأطفال

إن لاختطاف الأطفال أثار خطيرة تنعكس على ذات الطفل فتؤثر على صحته وقدرته على التعلم والاندماج الاجتماعي، كما أنها تدمر ثقته بنفسه وبالآخرين، وتضعف قدرته على السيطرة على ذاته وسلوكه، وهذا لا يؤثر على حياتهم الشخصية ولا يقف عند هذا الحد فحسب إذ يمتد ليؤثر على المحيط الاجتماعي بأكمله فتتأثر جميع الأنساق الاجتماعية المكونة للبناء الاجتماعي، وهذا الآثار يمكن تقسيمها على المستوى الفردي والمجتمعي:

1- المستوى الفردي (الضحية):

يؤدي اختطاف الأطفال إلى شعورهم بعدم الأهمية وفقدان الثقة في النفس وفي الآخرين، وتكون حياتهم مليئة بالمشكلات الصحية والنفسية والاجتماعية والعاطفية والسلوكية، وتشمل هذه المشكلات أضرار خطيرة ويتضح ذلك من خلال الجوانب الآتية:

- الآثار البيولوجية: وتتمثل في اضطرابات النوم وكثرة الكوابيس والأحلام المزعجة، والتبول اللاإرادي، قضم الأظافر، وفقدان الرغبة والشهية في الأكل والشرب مما يسبب سوء التغذية والإصابة بأمراض أخرى لها علاقة بذلك.

- الآثار الصحية البدنية: وتشمل خاصة الحالات التي تعرضت من جراء الاختطاف للاعتداء الجنسي وتظهر على شكل "مجموعة من المشاكل والأمراض الصحية 'السيلان الزهري، القرحة، الالتهاب البلغي التناسلي، التهاب الكبد الفيروسي، التهاب مجرى البول غير السيلان، التهاب الحوض لدى النساء،تآليل التناسل، الايدز "[19].

- الآثار النفسية: من الأضرار النفسية الناتجة عن اختطاف الأطفال "عدم الثقة بالنفس، وعدم القدرة على التعبير عن المشاعر والانفعالات، وعدم الشعور بالأمان، وتأخر النمو العقلي، واضطراب العلاقات الاجتماعية، وقلق الانفصال، والخوف الاجتماعي، والوسواس القهري، والهلع، ومحاولات إيذاء النفس، واضطرابات الارتباط في السنوات الأولى من العمر، وضعف التحصيل الدراسي، وضعف المهارات الاجتماعية والإحباط الجنسي"[20].

- الآثار السلوكية: وتظهر على شكل سلوكيات غير سوية، وعدم تكيف الطفل الذي تعرض للاختطاف مما يفقده الإحساس بالانتماء الاجتماعي للأسرة وكافة الأفراد المحيطين به، وعلى الغالب تكون له سلوكيات عدوانية وعنيفة.

- آثار قصيرة المدى: وتتمثل في الآثار المباشرة والمصاحبة للاختطاف، مثل الإصابة بآثار يمكن ملاحظتها على جسم الطفل نتيجة استعمال العنف كآثار الحرق والكي والندبات، وصعوبة المشي أو الجلوس، والمعاناة المعنوية من خوف وهلع خاصة عند إبعاد الطفل عن والديه وهو في أمس الحاجة ليهما خاصة في هذه المرحلة العمرية التي لا يستطيع فيها مفارقة والديه.

- آثار طويلة المدى: وتتجلى في معاناة الطفل إلى سنوات وربما مدى الحياة، كاتخاذ العنف لاحقا وسيلة للدفاع واثبات وجوده وأهميته نتيجة ما تعرض له من خبرات إساءة في مرحلة الطفولة ليجد في العنف والانتقام لاحقا مبررا قويا لإعادة ترجمة ما تعرض في تلك المرحلة خاصة إذا تعرض للاغتصاب والتعنيف، وإعادة ترجمة هذه السلوكيات يعرف بـ "دورة العنف"

2- تأثير جريمة اختطاف الأطفال على المجتمع:

تعد جريمة اختطاف الأطفال من بين الجرائم الخطيرة التي تهدد أمن واستقرار المجتمع، وذلك من خلال تهديم الأسر بإبعاد الطفل عن حضن والديه وفصله عن أسرته حيث جاء في الحديث النبوي " من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين الأحبة يوم القيامة".[21]

وما يزيد من خطورة اختطاف الأطفال وإبعادهم عن وسطهم الأسري عند استغلالهم في الدعارة، والتسول، والاعتداء الجنسي، والمتاجرة في المخدرات حيث يفقدون براءتهم ويصبحون مشروع مجرم محترف فقد معاني الإنسانية وهم في مرحلة الطفولة نصبح نخاف منهم ونخاف عليهم في نفس الوقت.

وأيضا انتشار مظاهر عدم شعور الأولياء بالأمن على أطفالهم انتشار ظاهرة وقوف الأولياء عند أبواب المدارس وانتظارهم لدخول الأبناء وخروجهم، فبعدما كان في الماضي القريب يقطع الطفل بمفرده مسافات طويلة مشيا على الأقدام للوصول إلى المدرسة آمنا، أضحى اليوم معرض للاختطاف في أي لحظة.

بالإضافة إلى تكوين صورة سيئة عن ذلك المجتمع الذي تكثر فيه مثل هذه الجرائم مما يؤثر على موارده الاقتصادية ويقل الاستثمار فيه وبالتالي يتأزم الوضع الاقتصادي وتنتشر الفقر والبطالة.

كما أنه تضعف وتتلاشى قيم التراحم والتعاون والتكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع حيث أصبح الفرد فينا يتجنب ويتحاشى تقبيل أو مداعبة طفل لا يعرفه نظرا لما قد نلقاه من استهجان من طرف أوليائه بسبب سوء الظن وخوفهم عليه لما قد لحق به من أذى، وتنشئته على مخافة الآخرين والحذر في التعامل مع الآخرين

حتى وإن كان من الأهل والأقارب مما ينقص حجم التعاون بين الطفل والمحيطين به، وعدم إدراكه لأهمية العلاقات الاجتماعية ويفقد بذلك الشعور الجماعي المبني على مبدأ الأخوة والتعاون، فتزيد العداوة والبغضاء والكراهية وحب الانتقام نتيجة ما تعرض له الطفل من الاختطاف خاصة إذا تم تعنيفه والاعتداء عليه جنسيا.

سابعا: آليات مقترحة للحد من جريمة اختطاف الأطفال في الجزائر

1- الأسرة:

- ضرورة تعليم الطفل بعض الأمور الضرورية التي تحفظ أمنه وسلامته مثل كيفية تشغيل الهاتف، وأن يكونوا على دراية بالرقم الأخضر الخاص بالشرطة 1548، والخط الأخضر الخاص بالدرك الوطني 1055 للاتصال والتبليغ في حالة تعرضهم للخطر من قبل المجرمين.
- المراقبة التامة للأبناء وعدم إهمالهم مثل إرسال الطفل بمفرده لزيارة الآخرين حتى وإن كانوا من الأقارب، أو إرسال الطفلة باستمرار للشراء من المحلات دون مراقبة فكثيرا ما كان أصحاب المحلات هم أبطال الاختطاف والاغتصاب.
- تربية الأطفال على الثقة المتبادلة مع أوليائهم، وتعويدهم على أمر المصارحة التامة وضرورة إخبارهم بكافة ما يحصل لهم سواء في المحيط الأسري أو خارجه.
- التعامل بعقلانية مع أي مصارحة أو أخبار يخبرها الطفل لوالديه مهما كانت جسامتها، لأن ردة الفعل العنيفة والعدوانية من قبل الوالدين تدفع بالطفل إلى الكتمان والتستر مما يجعله عرضة لتكرار ما وقع له.
- عدم تستر الأولياء وخجلهم لتبليغ المصالح الأمنية عن حالات اختفاء الأبناء خاصة الذين تعرضوا للاعتداء الجنسي حتى وإن كان من طرف الأقارب لأن ذلك يزيد من تفشي الظاهرة.
- إعطاء الأبناء ثقافة جنسية تتماشى مع مختلف مراحل حياتهم العمرية تساعدهم على التكيف في حياتهم الجنسية لاحقا هذا من جهة، ومن جهة ثانية عدم الوقوع في السلوكيات الانحرافية الجنسية الشاذة.
- عدم ترك الأبناء بمفردهم في الأماكن العمومية والمكتظة، أو في المنزل، أو في السيارة، أو في الشارع حتى ولو لمدة قصيرة.

2- المدرسة:

- التركيز على الجوانب الخلقية والدينية في المناهج الدراسية من أجل تربية وبناء جيل صالح تغرس فيه المبادئ الخلقية والمثل العليا التي تتماشى مع تعاليم ومناهج الدين الإسلامي الحنيف.

3- المسجد:

- غرس العقائد الإيمانية في نفوس الأفراد من خلال الخطابات الدينية عن طريق التوعية والتربية والتوجيه، والتعريف بالأسباب المؤدية إلى تفشي هذه الظاهرة، وكيفية توظيف مبادئ الدين الإسلامي الحنيف للابتعاد عن الوقوع في مثل هذه المفاسد.

4- وسائل الإعلام والاتصال:

- الحرص على نشر المعلومات الصحيحة من طرف الوسائل الإعلامية، وعدم العمل على تهويل الأحداث حول حالات الاختطاف مما يزرع الذعر والهلع والخوف لدى أفراد المجتمع.

❖ توعية أفراد المجتمع من خلال مختلف وسائل الإعلام بمخاطر جريمة اختطاف الأطفال، والأسباب المؤدية لهذه الجريمة وكيفية التصدي لها.

5- الجامعة:

❖ الاستفادة من الدراسات العلمية الأكاديمية حول جريمة اختطاف الأطفال وتوظيفها بالتنسيق مع مختلف المؤسسات الأمنية ومنظمات المجتمع المدني ووسائل الإعلام والاتصال حتى يتم معالجتها بالاعتماد على أسس علمية وموضوعية.

6- منظمات المجتمع المدني:

❖ تشكيل لجنة وطنية عليا بالتنسيق مع مختلف منظمات المجتمع المدني تهتم بدراسة شئون ومشاكل الشباب على أن يكون من بين أعضائها مختصين في الخدمة الاجتماعية، علم الاجتماع، علم النفس، التربية والمختصين في الشئون الدينية.

❖ عمل منظمات المجتمع المدني على الوصول إلى أماكن تجمعات الشباب والأندية وإجراء حوارات معهم للتعرف على مشاكلهم ومناقشتها بحرية ومعرفة الأسباب والدوافع بهدف تصحيح أفكارهم تجاه الموضوعات المختلفة وإيجاد حلول مناسبة لهم تحميهم من الوقوع في مختلف الجرائم من بينها جريمة اختطاف الأطفال.

7- المؤسسات الأمنية:

❖ العمل على تعزيز ثقافة الحوار وتقريب الجهات الأمنية من الشباب من خلال تنظيم حملات أمنية توعوية تحذر بمخاطر جريمة اختطاف الأطفال وتأثيرها على الفرد والمجتمع.

❖ العمل على خلق الثقة والقبول بين المؤسسات الأمنية والمواطن، فهذه الثقة هي شرط مسبق للمواجهة الناجحة للجريمة.

8- البلدية:

❖ إنشاء لجنة دائمة بكل بلدية تهتم بمشاكل وشئون الشباب والتقرب منهم لحمايتهم من الوقوع في الإجرام.

9- صحيا:

❖ قد يتعرض الطفل لبعض المشكلات النفسية جرا ما تعرض له، ولذلك لا بد من الاستعانة بمختص في مجال الطب النفسي لتخليصه من بعض العوارض مثل: الخوف، والقلق، واضطراب النوم...الخ قبل أن تتحول إلى عقد نفسية يصعب استئصالها ومعالجتها لاحقا.

10- قانونيا:

❖ إعادة تحين القوانين وتطبيقها بصرامة ضد كل جاني يرتكب جريمة اختطاف الأطفال.

خلاصة:

يتضح من خلال المعطيات الكيفية والكمية التي تم عرضها في هذه الورقة البحثية أن ظاهرة اختطاف الأطفال في المجتمع الجزائري شهدت ارتفاعا ملحوظا في السنوات الأخيرة يوحي مدى خطورة الظاهرة التي تقف وراءها عدة عوامل (دينية، اجتماعية، نفسية، اقتصادية) متداخلة ومتشابكة، وهي بدورها كان لها آثار

وانعكاسات خطيرة على حياة الأطفال وعدم استقرار البناء الاجتماعي هذا من جهى، ومن جهة ثانية ما يتبع الظاهرة من سلسلة جرائم أخرى كالاغتصاب، واستغلالهم في التسول، وترويج المخدرات، والمتاجرة بالأعضاء البشرية لتصل إلى حد القتل، وهو ما جعل المشرع الجزائري يعيد النظر في سن قوانين وتشريعات رادعة لحماية الأطفال من مختلف الأخطار التي تهدد أمن حياتهم، واستقرارهم النفسي والاجتماعي.

الهوامش:

[1]– لياس، شرفة وليلى بوطغان. جريمة اختطاف الأطفال في الجزائر بين سيكوباتية الخاطف ونفسية المختطف. ورقة بحث مقدمة في أعمال الملتقى الوطني الرابع حول الجريمة المعاصرة في الجزائر (الطفل والجريمة). يوم 28 نوفمبر 2017، جامعة الشاذلي بن جديد الطارف، الجزائر، ص 227.

[2] – محمد الصالح، روان." جريمة الاختطاف وعقوبة الإعدام". دفاتر السياسة والقانون، العدد 16، (جانفي 2017): ص 260.

[3] – محمد سيد فهمي. العنف الأسري. الاسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 2012، ص ص 159-160.

[4] – محمد عاطف غيث. قاموس علم الاجتماع. الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1995، ص 55.

[5]- أنس، عباس غزوان." العنف الأسري ضد الأطفال وانعكاساته على الشخصية". مجلة جامعة بابل، العلوم الإنسانية، المجلد 23، العدد 4، (2015): ص 2158.

[6]– الطاهر، سرايش." جريمة اختطاف الأطفال: دراسة استقرائية للأسباب والعلاج في ضوء الشريعة الإسلامية". مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 12، (جوان 2017): ص 11.

[7]– فوزية، مصابيح. ظاهرة اختطاف الأطفال في المجتمع الجزائري (بين العوامل والآثار). ورقة بحث مقدمة في أعمال المؤتمر الدولي السادس. الحماية الدولية للطفل. أيام 20-2014/11/22، طرابلس، ص 03.

[8]– منال، نيكية." جريمة اختطاف الأطفال قراءة قانونية سوسيولوجية". مجلة الحقوق والعلوم السياسية، العدد 8،ج2، (جوان 2017): ص ص 938-939.

[9]– فوزية، مصابيح، مرجع سابق، ص 4.

[10]– لياس، شرفة وليلى بوطغان،مرجع سابق، ص 229.

[11]– الطاهر، سرايش، مرجع سابق، ص 21.

[12]– منال، نيكية، مرجع سابق، ص 941.

[13]– الطاهر، سرايش، مرجع سابق، ص 22.

[14] - صالح بن عبد الله ،المالك وآخرون. أصول علم الإجرام. الرياض: شركة العبيكان للطباعة والنشر، دت، ص 67.

[15]– مريم، عثمان وزينب قريوة. كرونولوجيا اختطاف الأطفال في الجزائر (بحث في الأسباب والنتائج) . ورقة بحث مقدمة في أعمال الملتقى الوطني الرابع حول الجريمة المعاصرة في الجزائر (الطفل والجريمة). يوم 28 نوفمبر 2017، جامعة الشاذلي بن جديد الطارف، الجزائر، ص ص 124-125.

[16]– هندة، غزيوي." خطورة المخدرات في المجتمع الجزائري وأساليب مواجهتها". مجلة المعيار، العدد 19، (جويلية 2009): 275.

[17]- ياسمينة، بغريش." إشكالية العنف الاجتماعي في المدن الجزائرية: مدينة علي منجلي في قسنطينة نموذجا". اضافات المجلة العربية لعلم الاجتماع،العدد 28، (خريف 2014): ص 94.

[18]– وسيلة، مناعي وسعاد مقدم. ظاهرة اختطاف الأطفال- الأسباب والانعكاسات- . ورقة بحث مقدمة في أعمال الملتقى الوطني الرابع حول الجريمة المعاصرة في الجزائر (الطفل والجريمة). يوم 28 نوفمبر 2017، جامعة الشاذلي بن جديد الطارف، الجزائر، ص 266.

[19]– يعقوب يونس خليل، الأسطل." المشكلات النفس اجتماعية والانحرافات السلوكية لدى المترددين على مراكز الانترنت بمحافظة خان يونس". رسالة ماجستير، كلية التربية، الجامعة الإسلامية غزة، فلسطين، 2011، ص 75.

[20]– أحمد بن محمد، الشهري."الانحراف الجنسي بعد البلوغ وعلاقته بالتعرض للاعتداء أثناء الطفولة". رسالة دكتوراه، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 2010، ص ص 48-49.

[21]– الطاهر، سرايش، مرجع سابق، ص 15.